النسبة وأثرها في التغير الدلالي: كتاب ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي أنموذجا

Ratio and its effect on semantic change; fruits of hearts in the added and attributed to al Thaalibi book as a model

إيمان صيام *
جامعة الحاج لخضر باتنة 1 (الجزائر)
مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة
Imene.siam@univ-batna.dz

أ.د مزوز دليلة
جامعة الحاج لخضر باتنة 1 (الجزائر)
مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة
Dalila.mazouz@univ-batna.dz

تاريخ الإرسال: 2022-01-23	تاريخ التقييم: 2022-04-19	تاريخ القبول: 2022-06-15

الملخص

إذا كانت النسبة في الصرف العربي تهتم بالمستوى السطحي اللغوي للنصوص فإن النسبة كقرينة نحوية معنوية تهتم بالمستوى العميق وبالدلالات والسياقات العامة التي يضعها النص أمام المتلقي، ولعل هذا لا يتأتى إلا بتوافر أدوات الانسجام وبخاصة آلية السياق. ولعل من دواعي هذا العمل الوصول إلى عمق الخطاب اللساني الدلالي ولقد حاولنا الاعتماد على مدونة الثعالبي الموسومة بثمار القلوب في المضاف والمنسوب كميدان للدراسة وبالاتكال على المنهج الوصفي التحليلي الذي أعاننا على تفسير الظاهرة بعمق، وفي السياق ذاته حاولنا الإجابة على بعض الإشكالات المهمة: ما مفهوم السياق؟ ما هي أنواعه؟ ما هي أبرز تجليات السياقات الدلالية في مدونة الثعالبي؟ ولقد توصلنا إلى مجموعة من النتائج أبرزها أن ظاهرة النسبة لها جانب دلالي ومن أدوارها توليد مرجعيات سياقية مختلفة.

كلمات مفتاحية: نسبة؛ دلالة؛ متلقي؛ انسجام؛ الثعالبي؛ سياق.

Abstract

If the ratio in Arabic morphology is concerned with the linguistic surface level of the texts, then the ratio as a moral grammatical presumption is concerned

with the deep level and the general connotations and contexts that the text places in front of the recipient, and perhaps this can only be achieved by the availability of harmony tools, especially the context mechanism. Perhaps one of the reasons for this work is to reach the depth of the semantic linguistic discourse, and we have tried to rely on the Al-Thaalibi blog marked with the fruits of hearts in the added and attributed as a field of study, and by relying on the descriptive analytical method, which helped us to explain the phenomenon in depth and in the same context we tried to answer some important problems: What is the concept of context? What are its types? What are the most prominent manifestations of semantic contexts in the Al-Thaalibi blog? We have reached a set of results that the phenomenon of ratio has a semantic aspect and its roles are to generate different contextual references.

Keywords: Rate; meaning; recipient; harmony; al Thaalibi; context.

***المؤلف المراسل:** إيمان صيام imenesiam31@gmail.com

مقدمة:

يحتل الانسجام مركز الدائرة في الأبحاث المتعلقة بلسانيات النص، ولقد أولى علماء النصية عناية قصوى به، فقد حظي بنصيب وافر من الاهتمام ولأنه القضية الأساسية في التحليل النصي ويمثل أهم مظهر تعتمد عليه اللسانيات النصية. وبناء على هذا الأساس وقع اختيارنا على مدونة الثعالبي التي قمنا بدراسة مواضع الانسجام فيها للنظر في الوسائل التي وظفها في لربط أجزاء نصوصه ببعضها البعض وجعلها تظهر متسقة المباني منسجمة المعاني. ولعله من الأهداف والمرامي التي نسعى إلى الوصول إليها محاولة استنباط مظاهر الانسجام في كتاب ثمار القلوب في المضاف والمنسوب لصاحبه الثعالبي، وكذا بيان دور وسائل الانسجام في لحمة نصوصه، وإبراز أهمية السياق في توليد المعاني المختلفة وقد كان اهتمامنا منصبا أكثر على آلية السياق التي تخلق للقارئ نوعا من

المقبولية تجاه النصوص فتدفع به إلى إنتاج نصوص أخرى بناء على الأولى كما يمكنه إبراز مواطن الانسجام ومظاهره واكتشاف أبنية النص ومعانيه ودلالاته الكامنة. وما أردنا الوصول إليه من خلال هذا العمل بيان دور آليات الالتحام في لحمة النصوص وانسجامها وإظهار دور السياق والمتلقي في فهم النص وتأويله. وفي سياق العمل قمنا بطرح العديد من الإشكاليات المهمة: ما مفهوم النسبة؟ ما مفهوم الدلالة؟ وما أنواعها؟ ما أبرز تجليات السياقات الدلالية في مدونة الثعالبي؟ دور السياق في فهم النص وتأويله؟ وما دور العلاقات الدلالية في انسجام النصوص؟

- ولقد توصلنا إلى مجموعة من النتائج التي ساقنا إليها المنهج الوصفي التحليلي من جملتها: أنه من وسائل الانسجام المهمة السياق الذي يلعب دورا في توليد مرجعيات مختلفة تكسب النص علاقات خاصة. للمتلقي دور في الصعود بالمعاني من دائرة العمق إلى السطح ويضمن لها إعادة وصلها بفروعها الخاصة وارتباطاتها العامة.

1-مفهوم النسبة:

-**لغة**: النسب والنسبة تعني القرابة في الآباء كما عبر عنها ابن منظور بقوله : "هو واحد الأنساب ... النسبة والنسب القرابة وقيل هو في الآباء خاصة، وقيل النسبة مصدر الانتساب والنسب يكون إلى الآباء والبلدان ويكون في الصناعة..."[1]

-**اصطلاحا:** النسبة إضافة شيء إلى شيء آخر وربطه به، ويتكون من طرفين من الكلام هما المنسوب والمنسوب إليه.[2]

ومنه فإن النسبة عامل مساعد في فهم المعاني النحوية، وهي قيد عام الفائدة منه إلحاق شيء إلى شيء آخر وربطه به. وللنسبة دور كبير في توليد السياقات والمرجعيات التي تساعد في فهم وتأويل النصوص وإثراء دلالاتها.

2- مفهوم الدلالة:

ذكر الشريف الجرجاني مفهوم الدلالة وهي: "كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال والثاني هو المدلول".[3]

-والدلالة بحسب المفهوم الذي أورده الشريف الجرجاني هي التلازم في معرفة شيئين أحدهما معروف والآخر يعرف انطلاقا أحدهما معروف والآخر يعرف انطلاقا منه وبالعودة إليه، أو هي اتحاد بين الصورة الصوتية الدال والصورة الذهنية المدلول وحضور الأول يستدعي حضور الثاني.

وفي هذا الصدد من الضروري التفريق بين الدلالة والمعنى يمكن للمتأمل أن يحدد المعنى في مقصود ثابت ساكن في حين تكتسب الدلالة التوالد والحركة والنماء في محور المعاني وبذلك يكون المعنى محطة ثابتة في محور الدلالة.[4]

-معنى ما سبق أن المعنى يجب أن يكون ثابتا ويخص اللفظ دون سواه، بينما الدلالة متجددة ومتغيرة في نظام اللغة لتصبح بذلك الدلالات لانهائية ولا محدودة أمام محدودية المعنى.

-ويعرف عادل فاخوري الدلالة بأنها "علاقة تضايف معينة بين الدال والمدلول، فأنواع الدلالة تتعدد بحسب إيجاد اختلافات في العلاقة المذكورة".[5]

-من جملة التعريفات التي أوردناها جميعها تشير إلى أن الدلالة هي اتحاد بين الإشارات اللفظية الدوال والصور الذهنية المدلولات وفي غياب هذا الاتحاد تفقد العلامة اللغوية قيمتها العلامة اللغوية قيمتها، ولب الدلالة هو ذلك الانتقال بين الأصوات وصورها المشكلة في الذهن للوقوف على الدلالة المحمولة بينهما.

3-أنواع الدلالة:

تنقسم الدلالة في إطارها العام إلى ثلاثة أنواع رئيسة:

أ-الدلالة الوضعية:

هي الدلالة الاتفاقية الاصطلاحية والتي تقوم أساسا على التناسب بين الدال والمدلول، ويكون هذا التناسب هو العلاقة المتعارف عليها اتفاقا بين أفراد اللغة المعينة.

ب-الدلالة العقلية:

وأمثلتها تقتصر على دلالة الأثر على المؤثر كدلالة الدخان على النار وما شابه ذلك، مما يؤدي إلى حصر الدلالة العقلية بعلاقة السبب.[6]

معنى ذلك أن الدلالة العقلية ناتجة عن ربط جوهري مجرد خاص بين الدوال والمدلولات.

ج-الدلالة الطبيعية:

هي العلاقة البديهية التي تقوم بين الدال والمدلول دون أي تدخل للعقل أو اتفاق في إنشاءها وقد رأى عادل فاخوري أن هذه الدلالة يشوبها أكثر من التباس وذلك بسبب المفاهيم الغيبية غير العملية المعطاة لكلمات الطبيعة، الطبع والطباع وبهذا فإن الدلالة الطبيعية هي دلالة يجد العقل بين الدال والمدلول علاقة طبيعية ينتقل لأجلها منه وإليه كدلالة أح...أح على السعال وأصوات البهائم عند دعاء بعضها البعض وصوت العصفور عند القبض عليه.[7]

4- مفهوم الانسجام ودوره في التلاحم الخارجي للنصوص:

يتصل مفهوم الدلالة اتصالا مباشرا مع مفهوم الانسجام ويتعلق هذا المفهوم بالترابط العمودي للنص دون النظر إلى الروابط الأفقية التي تربط أجزاء النص بعضها ببعض، ولأجل توضيح ذلك نعرض تعريف براون ويول للانسجام في مؤلفهما تحليل الخطاب: "إن الانسجام لا يعتبر شيئا معطى وموجودا في الخطاب ينبغي البحث عنه للعثور عليه وعلى مستجداته وإنما هو في نظرهم شيء يبنيه متلقي الخطاب أو قارئ النص. وإذا فلا وجود لانسجام من دون وجود ذات قارئة تضفي هذه الصفة على النص المقروء وقد يعني بعض هذا أن ليس هناك نص منسجم في ذاته وغير منسجم في ذاته باستقلال عن المتلقي، بل المتلقي هو الذي يحكم على نص بأنه منسجم وعلى آخر بأنه غير منسجم".[8]

يشير المفهوم الذي قدمه محمد خطابي للباحثين براون ويول أن الانسجام يبنى من خلال التأويلات التي يضعها متلقي الخطاب بعد قراءته للنص، وبالتالي فالانسجام مرتبط بقارئ النص وتأويلاته لا بالنص في ذاته. وهذا ما سنعمل بدورنا على كشفه من خلاله مدونة الثعالبي.

ولأنه غالبا ما تكون النصوص التراثية القديمة أكثر انسجاما وأقل تعقيدا ولذلك كان إيرادنا لكتاب الثعالبي نموذجا للدراسة مقصودا وقد استعنا في ذلك على بعض آليات الانسجام التي تخدم التأويل وتربط بين العناصر المفككة في النصوص.

- وفي محاولة منا لتتبع نصوص الثعالبي وتجليات الدلالات النصية والسياقات المختلفة ودورها في تبديل معاني الألفاظ. بما يساهم في الإثراء الدلالي. وقد وقع اختيارنا على بعض الشواهد المبثوثة في أبواب الكتاب الثرية من ناحية الدلالات.

- أورد الثعالبي فيما باب ما ينسب اسمه إلى المولى عز وجل (خاتم الله) ولها معاني خاصة وعامة، أما الخاصة فقولهم للدراهم والدنانير خاتم الله في قولهم: "كنوز الله في أرضه فمن أرادها فليأتها بخاتمه" ولها معنى آخر ذكره ابن الرومي في قوله:

كم رضيع هناك فطموه بشبا السيف قبل وقت الفطام

كم فتاة بخاتم الله بكر فضحوها جهرا بغير اكتمام

- كل هذه معاني خاصة أما المعنى العام فقولهم للصوم: "الصوم خاتم الله"، وقولهم عند الحلف بالله على الصوم "والله والذي خاتمه على فمي".[9]

- في باب النسبة هناك معاني خاصة ومعاني عامة بين المنسوب والمنسوب إليه وفي هذا الموضع تنسب الخاتم وهي المنسوب إلى المولى عز وجل وهو المنسوب إليه. وقد ترد النسبة لمعاني عامة وقد تكون لمعاني خاصة تفهم من السياق الداخلي أو الخارجي، فقد تكون للدلالة على الكنوز ونفائس الأرض من درر وجواهر كما قد ترد للدلالة على الصوم والقسم في الموضع ذاته. في المعنى الأول دلت الخاتم على شيء مادي _الكنوز والنفائس_ وفي الموضع الثاني دلت على شيء معنوي وهو الصوم.

-وقد ذكر الثعالبي في باب ما ينسب إلى أسماء الأنبياء (خاتم سليمان)[10] والذي يضرب به المثل في الشرف والعلو ونفاذ الأمر والسلطة ، كل هذه الدلالات التي يحملها لفظ الخاتم تختلف بحسب السياق الذي يجمع بين المنسوب والمنسوب إليه.

-في باب ما ينسب إلى الملائكة والجن والشياطين أورد الثعالبي قولهم _رماح الجن_[11] وقد كانت العرب تسمي داء الطاعون رماح الجن وقد جاء في الحديث "إنه وخز أعدائكم من الجن" وقد كانت الطواعين تقع كثيرا آنذاك كطاعون عمواس وطاعون العذارى وطاعون الأشراف وغيرها...وقد شبهوا الطواعين بالرماح ووخز من شياطين الجن، وفي طاعون عمواس قام عمر بن العاص خطيبا في الناس: "إن الطاعون هو وخز من الشياطين" وأمرهم أن يستقروا في الشعاب وقد بلغ ذلك معاذ بن جبل فأنكر عليه ذلك القول فلم يلبث أن

مات فيه. وفي هذا الموضع لفظة الرماح لها معنى حسي مادي والطاعون وباء من الأوبئة المنتشرة آنذاك ولعل الدلالة هنا جمعت بين ما هو مادي وما هو معنوي.

-وقد ذكر ذلك نبي الله عليه الصلاة والسلام: "فناء أمتي بالطعن والطاعون" قيل وما الطاعون يا رسول الله؟ قال "وخز من الجن" وهذا الوخز معنوي لا يدرك بالعقول. وذكر ابن عبد السلام البناني في أحكام الطاعون خلال اجتياحه المغرب سنة 1744م "شوهد بالشام وقت الطاعون الجن عيانا على خيل كالجراد تطعن المارة بالرماح في بعض أزقة الصالحين" كما أورد أبو موسى الأشعري قول النبي صلى الله عليه وسلم "يا رسول الله الطعن عرفناه فما الطاعون؟" قال: "طعن أعدائكم من الجن" دلالة الحديث أن الطاعون ليس كالأوبئة التي تصيب الجسم إنما هو وخز من الجن ولأنه يخلف الكثير من الضحايا بسرعة أكبر من التي تخلفها الأوبئة الأخرى. ولأن الأطباء يتحدثون وفق ما تقتضيه قواعدهم وطعن الجن لا يدرك بالعقل والعيان فلم يتحدثوا عنه ولم يذكروه.

ولعل الحديث يحمل دلالة معنوية كان لها دور كبير في فهم الدلالة. رماح الجن، حيث ربط العرب بين الرماح وهي المنسوب والمنسوب إليه وهو الجن للدلالة المشتركة بينهما وهي سرعة الانتشار وقد كانت لفظة الرماح أقرب في الدلالة لمرض الطاعون لسرعة انتشاره أكثر من لفظة – وخز- التي ذكرت في الحديث ولعل الجمع هنا بين ما هو مادي وما هو معنوي له معنى خاص كعلاقة السبب بالنتيجة.

أ . مبدأ التأويل:

-من مبادئ الانسجام مبدأ التأويل المحلي الذي يعتمد على تقييد عناصر الطاقة التأويلية لدى المتلقي وتوجيهها إلى التأويل المقصود، وذلك بالاعتماد على السياق وخصائصه، فالنص مفتوح أمام تأويلات المتلقي، والسياق له مهمة تقييد التأويلات وتوجيهها بهدف عدم خروجها عن معطيات النص والسياق ويجعل المتلقي يبني انسجام النص من خلال المعلومات الواردة عنه في السياق.[12]

ب . مبدأ التغريض:

حدده محمد خطابي بأنه "نقطة بداية قول ما"، ويرى بأنه يتعلق بالارتباط الوثيق بين ما يدور في النص وأجزائه وبين عنوان النص أو بدايته باعتبار أن ما سيبدأ به المتكلم أو الكاتب سيؤثر في تأويل ما يليه ويعطيه تصورا مبدئيا حول موضع النص.[13]

-ذكر الثعالبي في باب ما ينسب إلى الملائكة والجن والشيطان قول العرب (رؤوس الشياطين) وهو تشبيه يقع على ما يستقبح قال تعالى: "إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم طلعها كأنه رؤوس الشياطين".[14]

قال الجاحظ:" ليس من الناس من رأى شيطانا قط على صورته ولما كان الله قد جعل في جميع الأمم استقباح صورة الشيطان وكراهته، وجرى هذا على ألسنة جميعهم، ضرب به المثل في ذلك لغرض التنفير والإخافة وهذا التأويل أقرب من قول أحد المفسرين أن رؤوس الشياطين نبات ينبت باليمن، وقول آخرين: إن الشياطين في الأرض هم الحيات والثعابين"[15]

-المعاني التي أشارت إليها عبارة رؤوس الشياطين متصلة اتصالا وثيقا بالسياق إذ يتعذر الفصل بينهما، وقد كان للسياق المقامي دور كبير في تفسير المحتوى والمعنى المقصود، ونوع هذا السياق هو سياق مقامي غير لغوي الذي يعتمد على الملابسات الخارجية والدلالات المحيطة ببيئة النص ففي قولهم رؤوس الشياطين يحيلنا ذلك إلى قوله صلى الله عليه وسلم: إنها شجرة تطلع في أصل الجحيم وهي شجرة الزقوم تشبه رؤوس الشياطين لقبحها ولأن لا علم لنا بمبلغ قبح رؤوس الشياطين وإنما يمثل الشيء بالشيء تعريفا من الممثل له لقرب اشتباه الممثل أحدهما بصاحبه. أما السياق الثاني الذي وردت فيه اللفظة هو مقام الحية والمعروف عند العرب أنها كانت تسمى شيطانا، مقام آخر قد ترد فيه عبارة رؤوس الشياطين في الرجل إذا استقبح شكله ومنظره الخارجي.

- ولعل كل هذه الأوصاف والدلالات تقع في سياق المبالغة إذا ما أراد أحدهم المبالغة في تقبيح الشيء.

- ذكر الثعالبي في ما ينسب إلى الغراب قول العرب "عين غراب"[16] و"أبصر من غراب"، كما يقال أن الغراب أعور يغمض عينيه مقتصرا على إحداهما من قوة بصره. ويقال في سياقات أخرى غرب شخصا عن بلاده أبعده وجعله غريبا كل هذه الدلالات السياقية

المقامية تستخدم في سياق الحديث عن قوة وحدة البصر. وقد أورد الثعالبي الكثير من السياقات التي وردت فيها لفظة الغراب كقول العرب غراب الليل وهو مثل يضرب لمن لا يونس بأشكالهم. وقولهم أيضا: شيب الغراب فيما لا يكون إلا بعد انتظار فيقال لا يكون ذلك حتى يشيب الغراب. في هذه السياقات تقع في مقام التقليل من قيمة الشيء وضعف جدوى فاعليته.

- في باب الحمام قالت العرب: "حمامة نوح"[17] وهي الحمامة التي أرسلها نوح عليه السلام لتأتيه بالخبر اليقين بعد تغيب الهدهد عن الميعاد. وقد كانت دليل نوح ورائده بعد رجوعها وفي رجليها من الطين والحمأة ما برجليها حاملة بمنقارها غصن زيتون. وقد كان رمزا للسلام قديما لارتباطه بالعديد من الأحداث التاريخية وبقي يحمل نفس الدلالة القديمة إلى يومنا هذا بحيث يتمثل به للدلالة على السلم والسلام. ومرجعية هذا المثل دينية يعود إلى حمامة نوح التي جاءته بالخبر اليقين أن الأشجار بدأت تظهر والمياه بدأت بالانحسار بعد الطوفان. وقد أورد الثعالبي العديد من السياقات التي وردت فيها لفظة الحمامة عند العرب من أمثلتها طوق الحمام وهو مثل يضرب لما يلزم ولا يبرح ويقيم ويستديم كالطوق الذي جعله الله تعالى في رقبة حمام نوح التي كانت دليلا ومرشدا فأعطاها الله تعالى تلك الزينة ومنحها تلك الحلية بدعاء نوح حين رجعت إليه ومعها من الكرم ما معها. وقولهم سجع الحمام ولأن العرب كانت تجعل صوت الحمام سجعا وغناء ولما كانت تضرب به المثل في الإطراب والشجى. وذكرهم هداية الحمام والحمام يضرب به المثل في الهداية والإرشاد وقد كان يشترى بالأثمان الغالية، ويرسل في الغايات البعيدة وتكتب الأخبار فيؤديها ويعود بالأجوبة عنها. وهذه الأمثال من المشهور المتعارف عند العرب. ولعل تنوع السياقات التي وردت فيها لفظة الحمام ساهمت في انسجام النص.

- في باب ما ينسب إلى سائر أصناف الطير ذكرت العرب (ديك العرش) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن مما خلق الله ديكا عرفه تحت العرش وبراءته تحت الأرض السفلى وجناحه في الهوى فإذا مضى ثلثا الليل وبقي ثلثه ضرب بجناحه قائلا سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح فعند ذلك تضرب الديكة وتصيح".[18]

- يقال أن لعرش الرحمان ديك عنقه تحت العرش لا إله غيره. وقد وردت لفظة الديك في مواضع عديدة كقول العرب _ديك الجن_ وهو مثل يضرب للديك النجيب الحاذق كثير السفاد. وسمي ديك الجن الشاعر المشهور أحد شعراء سيف الدولة الحمداني، وقولهم _ديك مزيد_ يضرب به المثل للحقير الذي يجلب الخير الكثير وقصته أنه كان لمزيد ديك نشأ في داره وعرف بجواره فأقبل عيد الأضحى فوافق ذلك خلو بيته من كل خير فلما أراد أن يغدو إلى المصلى أوصى امرأته بذبح الديك للعيد فلما جعلت لتمسكه جعل يصيح من جدار إلى جدار ومن دار إلى دار فسأل الجيران عن قصته فبعثوا إلى دارهم بالشياه والأبقار فداء للديك، فلما عاد مزيد وشم من الروائح ما شم سأل زوجته عنها فأخبرته فقال لها مسرورا احتفظي به وأكرمي مثواه فإنه أكرم على الله من نبيه إسماعيل عليه السلام ولأن الله تعالى لم يفد إسماعيل إلا بذبح واحد وقد فدي هذا الديك بكل هذه الشياه والأبقار. وتقول العرب حسن الديك ويضرب به المثل كما يضرب في الطاووس لحسنه واعتداله إذا مشى ويقال للتلاوين والتعاريج والتهاويل التي لألوان ريشه. كل هذه السياقات توحي إلى معاني الاعتدال والانتصاب والإشراف والسلامة من العيوب ويقال _عين الديك_ يقول الأخطل:

عقار كعين الديك صرفا كأنها لعاب جراد في الفلاة يطير

وحكا الموصلي:

وكأس مدام يحلف الديك أنها لدى المزج من عينيه أصفى وأنور[19]

- دلالات عين الديك يقال في مقام الدلالة على الصفاء وما يشبه بها الشراب الصافي.

- في نفس الباب أورد الثعالبي قولهم _هدهد سليمان_ [20] ويضرب مثلا للإنسان الحقير، كما يدل على الملك الخطير، وسياقه سياق ديني وهو هدهد سليمان عليه السلام الذي كان يدلل على مواضع المياه في قعور الأراضين إذا أراد استنباط شيء منها. ويروى أنه إذا نقر الأرض عرف مسافة ما بينه وبين الماء. يقول تعالى في محكم تنزيله: "وتفقد الطير فقال مالي أرى الهدهد أم كان من الغائبين".[21]

لما دخلت _ال_ التعريف على الاسم جعلته معرفة، فدل بذلك على أنه لم يكن هدهدا من عرض الهداهد، بل كان هدهدا بعينه مخصوصا بما لا يختص به غيره. وقد كانت دلالة الهدهد على سليمان كحكم الغراب على نوح وحكم الحمامة على السفينة، والحمار على

العزير ولو حملوا جميع الهداهد والغربان والحمام والحمير لكان ذلك حكما مردودا، وقد ذكرت لفظة الهدهد في سياقات عديدة كقول العرب _سجود الهدهد_ ويضرب به المثل لمن يكثر السجود يقول ابن المعتز:

وصلت هداهدة كالمجوس متى ترى نيرانها تسجد

- كما ذكروا _عذاب الهدهد_ ويضرب به المثل لمن يسام سوء العذاب لقوله تعالى: "لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه".[22]

-تظهر النماذج السابقة دور النسبة في تشكيل السياقات المختلفة ومن ثم إثراء الدلالات. والنسبة هي قرينة معنوية كبرى وهي قيد عام على علاقة الإسناد أو ما وقع في نطاقها. ولعل هناك مصطلحات تتداخل مع النسبة كقرينة الرتبة بين جزأين مرتبين والتي تعني باختصار حفظ موقع الكلمة فنحن نقول _ديك الجن_ ولا نقول _الجن ديك_ كما نقول _ذئب يوسف_ ولا نقول _يوسف ذئب_ ونقول قوس قزح ولا نقول _قزح قوس_ ولأن الألفاظ مرتبة في النفس على نمط معين وأي تبديل في رتبة الكلمات هو تبديل للمعنى وخروج عن السياق العام الذي وردت فيه..

- ويرى -براون ويول- أن السياق يلعب دورا كبيرا في تأويل وفهم وتفسير النص أو الخطاب، وهو يتشكل لديهما من المتكلم والمستمع والزمان والمكان [23] ويمكن أن نمثل بقول العرب _حمامة نوح_ وهي ذات سياق ديني للدلالة على السلام ورجوع الأمن وهي عند العرب دلالة على السلام بتمثيل الحمامة وغصن الزيتون.

- كما يبرز -هايمز- دور السياق في الفهم بأنه يحصر من جهة عددا من المعاني الممكنة ويساعد من جهة أخرى على تبني المعنى المقصود[24] ولعل تحليل السياقات الخاصة التي يتولد منها، ذلك أن ورود نص في سياقين مختلفين ينتج عنه تأويلين مختلفين، والرجوع إلى السياق كما يرى -فان دايك- بحصر التأويلات الممكنة ويدعم التأويل المقصود[25] وعدم الإحاطة بالسياق يقطع تواصلية الخطاب وانسجامه.

5. العلاقات الدلالية:

يركز في لسانيات النص على العلاقات الدلالية التي تسهم في تحقيق تماسكه، ومن هذه العلاقات:

أ-علاقة الإجمال والتفصيل:

وهي من أبرز العلاقات الدلالية التي ركز عليها علماء النص لكونها تضمن اتصال المقاطع النصية ببعضها البعض بفضل ما تمنحه هذه العلاقات من استمرارية دلالية بين مقاطع النص، كما تجدر الإشارة إلى أن هذه العلاقة لا تسلك دوما في فضاء النص نفس الاتجاه فهي تسير وفق اتجاهين من المجمل إلى المفصل ومن المفصل إلى المجمل.[26]

-ولعل هذه العلاقة مزدوجة الاتجاه تخرج النص وتنقله من رتابة الوتيرة الواحدة إلى تنام مطرد[27] ومن الشواهد التي نستحضرها في هذا المقام ما ذكره الثعالبي في باب -ما ينسب إلى البيض- قول العرب -بيضة البلد- [28] قد توضع تارة في موضع المدح وقد توضع تارة أخرى في موضع الذم، أما التي توضع في موضع المدح كقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "أنا بيضة البلد" وبيضة البلد واحدها الذي يحتكم إليه ويتقبل قوله. أما ما ذكر في موضع الذم ما دل على الذل والضياع ولأن النعامة تقوم عن بيضها وتتركها منفردة بدار مضيعة. ولعل هذه التفصيلات تقود إلى نوع من الاطرادات وليس شرطا أن تكون على اتفاق فقد تختلف بين المدح والذم وتبقى تدل على الأمر عينه.

-ذكر الثعالبي في ذات الباب قول العرب(سد الإسكندر)[29] هو سد يأجوج ومأجوج الذي ورد ذكره في القرآن الكريم وتولى بنائه ذو القرنين وهو الإسكندر عند أكثر الناس يقال –سد الإسكندر- ويضرب به المثل في الحصانة والوثاقة هذا هو العام المتداول بين العرب ويأتي تفصيل ذلك في قوة ذلك الجدار في قوله تعالى: "آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارا قال آتوني أفرغ عليه قطرا"[30] القطر هو النحاس الذائب على الحديد المحمى حتى يلتصق بعضه ببعض ما يزيده صلابة وقوة ووثاقة. ولأن العلاقة بين الدوال والمدلولات لا تسلك دائما سبيل المجمل المفصل بل قد تتحول فيتقدم المفصل على المجمل لتحقيق غاية معينة، ولعل هذا الترتيب مخالف للترتيب المعياري. بحيث يورد الكاتب الإراءة مع توفير الأدلة والإشارة إلى مشيراتها أو التوجيه لها، ثم بعد ذلك يتجه إلى

تفصيل هذه الإراءة من حيث النوع والكيفية وشرح الهيئة التي كانت عليها.

الخاتمة:

-كتاب ثمار القلوب في المضاف والمنسوب من الكتب التي اتسمت بجمال التأليف وتنسيق الأبواب بناه صاحبه الثعالبي على ذكر أشياء مضافة ومنسوبة إلى أشياء مختلفة يتمثل بها، ويكثر النظم والنثر وعلى ألسنة الخاصة والعامة استعمالها كقولهم هدهد سليمان وذئب يوسف وطوق الحمام قوس قزح...

- تعددت آليات الانسجام وعملياته تبعا لتباين آراء علماء النصية، ولعلنا في هذا المقام انصب تركيزنا على أهم الآليات التي تخدم إلى حد كبير مدونة الثعالبي.

- من وسائل الانسجام المهمة السياق الذي يلعب دورا مهما في توليد مرجعيات مختلفة كما يكسب النص علاقات خاصة تجعله كلا موحدا كما يفتح أبواب التأويل للمتلقي الذي يحاول اكتشاف العلاقات الكامنة ويعمل على إظهارها والصعود بها إلى السطح.

- تتصل المعاني اتصالا وثيقا بالسياق إذ يتعذر الفصل بينهما ولا يتصور أحدهما والآخر ليس متلبسا به.

- للعلاقات الدلالية دور كبير في ترابط أجزاء النص عن طريق استمرار معنى أو دلالة سابقة في جزء أو مقطع نصي لاحق. وهو ما يحقق الترابط المعنوي على مستوى النص بل قد يتجاوز حدود هذا النص ليحقق هذا الترابط والترابط على مستوى طائفة من النصوص التي قد تكون خضعت لإحدى هذه العلاقات هذا وقد تسهم هذه العلاقات أيضا في ترتيب الأفكار وتنظيم أجزاء النص على نحو يكون فيه النص كلا موحدا منتظما تنظيما منطقيا.

- يمثل كل من السياق والمتلقي من العوامل المساعدة في تحقيق انسجام النصوص وفك شفراتها بحيث يتضح ذلك مع النصوص التي تظهر مفككة من السطح، إلا أنها لا تلبث حتى يتبين القارئ من ورائها بنية عميقة تتحكم في انسجامها وتضمن ارتباطها بمتشجراتها وفروعها وارتباطاتها العامة والخاصة.

- لكفاءة المتلقي دور كبير في معرفة النص وأسلوبه وسياقه وهو ما يجعله قادرا على فهم النصوص وتحليلها وإعادة بناءها انطلاقا من التراكمات والمعارف والمفاهيم المحشودة في ذهنه.

القارئ هو المسؤول الأول عن رصد العلاقات الظاهرية بين أجزاء النص وعناصره ووصفها، وكذا اكتشاف أهم العلاقات المضمرة التي تجعل منه وحدة كلية شاملة، ولا يمكن معرفتها- كما ذكرنا سابقا- إلا من خلال السياق.

-ظاهرة النسبة لها أدوار عديدة منها توليد مرجعيات دلالية استنادا إلى السياقات المختلفة.

الإحالات والهوامش:

[1] ابن منظور: 1997م، لسان العرب: دار صادر، بيروت، لبنان، مادة نسب، ص 775.

[2] مصطفى جمال الدين: 1405ه، البحث النحوي عند الأصوليين، دار الهجرة، إيران، ط3، ص173.

[3] الجرجاني، الشريف، (2004)، التعريفات، دار العودة، ط1، بيروت، ص248.

[4] بوجادي، خليفة، (2009)، محاضرات في علم الدلالة، بيت الحكمة، ط1، الجزائر، ص23.

[5] فاخوري، عادل، (2004)، علم الدلالة عند العرب، دار الطليعة، ط1، بيروت، ص13.

[6] المرجع نفسه، ص23.

[7] فاخوري، عادل، علم الدلالة عند العرب، مرجع سابق، ص24.

[8] خطابي، محمد، (1991)، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، ط2، المغرب، ص5.

[9] الثعالبي، أبو منصور، دت، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، دط، مصر القاهرة، ص31.

[10] المرجع نفسه، ص 57.

[11] المرجع نفسه، ص68.

[12] خطابي، محمد، (1991)، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، مرجع سابق، ص56.

[13] المرجع نفسه، ص57.

[14] سورة الصافات، الآية 36-37.

[15] الثعالبي، أبو منصور، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، مرجع سابق، ص77.

[16] المرجع نفسه، ص461.

[17] المرجع نفسه، ص464.

[18] المرجع نفسه، ص469.

[19] المرجع نفسه، ص473.

[20] المرجع نفسه، ص486.

[21] سورة النمل، الآية 20.

[22] سورة النمل، الآية 21.

[23] خطابي، محمد، (1991)، لسانيات النص مدخل إلى انسجام النص، مرجع سابق، ص52.

[24] براون ويول، (1994)، تحليل الخطاب، محمد لطفي الزنيطي، ومنير التربكي، جامعة الملك سعود، ط1، الرياض، ص226.

[25] دايك، فان، (2004)، العلاماتية وعلم النص، منذر عياشي، الدار البيضاء، ط1، المغرب، ص141.

[26] خطابي، محمد، (1991)، لسانيات النص مدخل إلى انسجام النص، مرجع سابق، ص272.

[27] المرجع نفسه، ص272.

[28] الثعالبي، أبو منصور، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، مرجع سابق، ص75.

[29] المرجع نفسه، ص82.

[30] سورة الكهف، الآية 96.

قائمة المراجع:

-القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

1-سورة الصافات، الآية 36-37.

2- سورة النمل، الآية 20.

3- سورة الكهف، الآية 96.

-المراجع:

1- براون ويول، (1994)، تحليل الخطاب، محمد لطفي الزنيطي، ومنير التربكي، جامعة الملك سعود، ط1، الرياض

2-بوجادي، خليفة، (2009)، محاضرات في علم الدلالة، بيت الحكمة، ط1، الجزائر.

3-الثعالبي، أبو منصور، دت، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، دط، مصر القاهرة.

4-جمال الدين ابن منظور: 1997م، لسان العرب: دار صادر، بيروت، لبنان، مادة نسب.

5- الجرجاني، الشريف، (2004)، التعريفات، دار العودة، ط1، بيروت.

6- خطابي محمد، (1991)، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، ط2، المغرب.

7- دايك، فان، (2004)، العلاماتية وعلم النص، منذر عياشي، الدار البيضاء، ط1، المغرب.

8- فاخوري، عادل، (2004)، علم الدلالة عند العرب، دار الطليعة، ط1، بيروت.

9- مصطفى جمال الدين، (1405ه)، البحث النحوي عند الأصوليين، دار الهجرة، ط3، إيران.